بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كان للاستقبال الطيب الذى حظى به كتابى السابق فى سلسلة « اقرأ » وعنوانه « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ، وأيضًا لتشجيع زملائى الأفاضل فى كل من جامعة القاهرة ومجمع اللغة العربية ما دفعنى إلى متابعة الكتابة فى موضوع آخر على نفس النمط ، وقد اخترت لذلك آية أخرى من القرآن الكريم وهى « وجعلنا من الماء كل شىء حى » لتكون عنوانًا للكتاب الحالى .

والواقع أن هذه الآية الكريمة تحتوى هى الأخرى على معان لا تقل فى دقتها وروعتها عن الآية السابقة ، كما أنها حافلة بكل ما يبعث على الدهشة والإعجاز ، وهى أيضًا قد تمت صياغتها فى كلمات قلائل وتعبيرات واضحة تجعل من اليسير على كل إنسان أن

يتفهم معناها ويدرك القصد منها ، وهذا هو إعجاز القرآن فى كل آياته وكلماته ، يخاطب الناس جميعًا فى وضوح وبيان .

ولكن قد تكون هناك طائفة من الناس أقدر من غيرها على تفهم آية معينة أو غيرها من الآيات عند التعمق فى معناها ، وذلك نتيجة لبعض الدراسات التى مارسوها فى حياتهم العملية ، ويكون من واجبهم عندئذ إيضاح بعض الحقائق التى قد لا يستطيع الوصول إليها غيرهم من غير المتخصصين ، ولما كنت قد قضيت سنوات طويلة فى دراسة علم الأحياء وتدريسه بكلية العلوم بجامعة القاهرة فقد أكون على قدرٍ كافٍ من الوعى لتفهم هذه الآية الكريمة والتعمق فى مدلولها العلمى ، فهى على بساطتها قد ضمت فى كلماتها القلائل كل ما يتعلق بالحياة والأحياء .

وقد جمعت من القرآن الكريم معظم الآيات التى ذكر فيها « الماء » ، واخترت بعضها لتكون نبراسًا لى ودليلاً عند الكتابة فى هذا الموضوع ؛ كما جعلت من بعضها الآخر عناوين لبعض فصول الكتاب حتى يكون هناك تناسق ووضوح ، ومثال ذلك أننى اخترت كلمتى « صيد البحر » من الآية الكريمة (أُحِلَّ لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم) وذلك عند معالجة موضوع الحيوانات البحرية التى يعتمد عليها الإنسان فى وجباته الغذائية ، كما اخترت كلمتى « اللؤلؤ والمرجان » من الآية الكريمة (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) عند مناقشة الموضوع المتعلق بهما ، وذلك بالإضافة إلى

الإشارة الواضحة لها فى الآية الكريمة الأخرى (ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها) .

كما استوحيت من الآية الكريمة (وأسقيناكم ماءً فراتًا) موضوعًا لماء الشرب ، وأهم المصادر الطبيعية التى تمد الإنسان باحتياجاته منه ، والشروط الواجب توافرها كيما يكون هذا الماء صالحًا للاستخدام البشرى ، وغير ذلك من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ، كما استوحيت من الآية الكريمة (وهو الذى خلق من الماء بَشَرًا) موضوع « الماء فى جسم الإنسان » والكميات اللازمة له كى يبقى فى حالة صحية طيبة ، وكيفية حصول الجسم على احتياجاته المائية وبتعويض ما يفقد منه يوميًّا خلال العمليات الفسيولوجية داخل الجسم ، إلى غير ذلك مما يتعلق بتلك المادة الحيوية التى لا يُسْتغنى عنها ، وهكذا .

والحقيقة التى لا ريب فيها أن القرآن الكريم به ذكر لكل ما يتعلق بالماء ، كالأمطار التى تنزل من السماء ، والرياح التى تثير السحاب ، والأنهار التى تجرى على سطح الأرض ، والعيون التى تتفجر من باطنها ، والأرض التى يخضر أديمها بعد نزول الغيث عليها ، والماء العذب الفرات ، وكذلك الملح الأجاج ، وغير ذلك من الموضوعات التى لا يكاد يدركها الحصر .

ولذلك فإنى أرجو أن أكون قد وفقت فى إيضاح بعض الحقائق المتعلقة بموضوع الماء ، وليست كلها بطبيعة الحال ، ففى مثل هذا

الموضوع المتشعب النواحى لابد من الإحاطة بكثير من الدراسات الكيميائية والطبيعية والأحيائية وغيرها ، ولكنى قد راعيت الاختصار والإشارة إلى بعض النواحى الجوهرية فقط ، والله ولى التوفيق .

دكتور محمد رشاد الطوبى

أستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة